المحاضرة الخامسة: الدراسات السابقة

تعتبر الدراسات السابقة بمثابة خلاصات لنتائج البحوث التي تشبه أو لها علاقة بعنوان البحث المراد دراسته وذلك للاستفادة من تجارب الباحثين الآخرين وبالوقت ذاته تكرار الأخطاء التي وقعوا فيها وكيفية معالجة الإشكاليات المنهجية التي واجهوها ولتطور أهداف البحث المرجوة، على أن يكون في ذهن الباحث ألا يستعمل الكتب المقررة أو المؤلفة وتلخيص ما جاء به المؤلفون لان هذا لا يمثل الدراسات السابقة، إنما لا يوجد تحفظ سواء كانت البحوث تطبيقية نظرية أو وصفية، المهم أنها دراسات وبحوث وليست مؤلفات مدرسية تدريسية.

ومن خصائص البحث الجيد بناؤه على أرضية جيدة، من خلال التعرض لقدر كبير من الدراسات السابقة التي أجريت في الموضوع، بما يجعل الباحث مطلعا عما قام به غيره، وواقفا على ثغرات هذه الدراسات التي تكون بمثابة مواطن الخلل ونقاط النقص، عليه معالجتها وبناء إشكالية بحثه على خلفيتها، كما يتمكن من انتقاء أدوات البحث المناسبة لجمع المعلومات وقياس الفرضيات، والطريق العملي لتحقيق هذا الهدف هو القيام بمسح معرفي على ما هو متوفر من دراسات في المكتبات، في الكتب والدوريات وغيرها من وسائل المعرفة. وهذا العمل سيجعل الباحث على اطلاع واسع بموضوعه، ويساعده على الابتكار بتركيزه على الأشياء التي لم يتم التطرق إليها من قبل.

وللدراسات السابقة مزايا في البحث العلمي نلخصها في النقاط التالية:

1 . التعرف على نتائج الدراسات التي سبق لباحثين آخرين القيام بها، حتى يبدأ الباحث من حيث انتهى الآخرون.

2. الوقوف على أحداث الدراسات، وتطور حالة الحقل، وتحديد الباحث موقعه، والمساهمة التي يمكنه تقديمها من خلال بحثه مهما تكن محدودة أو ضئيلة.

3. اكتساب الباحث الخبرة وإدراكه الطريقة التي من خلالها قام الباحثون الآخرون ببحوثهم.

4. اكتساب أبعاد جديدة في ظاهرة موضع الدراسة أشار إليها الآخرون أو متغيرات عوامل إضافية لم تكن في حسبان الباحث.

5 . قد تساعد الدراسات السابقة في التعرف على محاولات التنظير في الموضوع أو على الأطر النظرية البديلة أو نظريات أو نماذج محددة تضمنتها هذه الدراسة.

لكن لابد من التنبيه إلى أنه يجب ألا يكون الاطلاع على الدراسات السابقة وعرض ما توصل إليه الآخرون حشوا يثقل به الباحث المذكرة ويزيد من حجمها، بحيث يخصص لها عشرات الصفحات من المذكرة، وإنما لابد من الاختصار والتركيز على النتائج وأهم الانتقادات الموجهة لها، حتى يختصر المسافة الى ثمرة الخطوة من البحث.

بالإضافة إلى ضرورة استخدام الباحث للدراسات السابقة في البحوث العلمية فيتعين عليه أيضا الاطلاع على إحدى النظريات علم الاجتماع التي تعكس أحد حقوله المعرفية وتحديد الطابع العلمي والهوية التخصصية للبحث لكي يساعد الباحث في تحليل نتائج بحثه سواء أكانت داعمة أو رافضة، بذات الوقت تصبح بحثه حقائق لتعزيز نصوص أو قضايا تلك النظرية المعتمدة، على ألا ننسى أن الرؤى النظرية توجه الباحث نحو أفاق اجتماعية بحثية لم يكن يعرفها قبل البدء بإجراء بحثه على سبيل المثال لا الحصر: إذا أراد باحث أن يدرس صراع الأجيال (الجيل الصاعد مع الجيل السابق) في مجال الاستقلال الشخصي للشباب في الوقت الراهن فانه يستطيع الاعتماد على إحدى نظريات الصراع الاجتماعي في دعم

نتائج بحثه وبالوقت ذاته يستطيع نقض قضايا نظرية النسق الاجتماعي أو النظرية الوظيفية لأنها تعد مثل هذا الصراع حالة مرضية.

وهناك من الباحثين من يرى أن الإطار النظري لابد أن يضبط بشروط مدققة، حتى يحقق أغراضه الموضوع لها، ويجب على الباحث أن يضعها في اعتباره وهو يبني الخلفية النظرية لبحثه، ويمكن تحديد هذه الشروط في النقاط التالية:

1 . التناسب بين الإطار النظري والإشكالية المطروحة في البحث، بالإضافة الى الفرضيات والمتغيرات ووحدات التحليل.

2 . أن يساعد الباحث في بلورة المفاهيم الخاصة بتحليل الموضوع المدروس، ويزوده بقدرة فكرية على الصياغة وتحرير المذكرة.

3 . يجب أن يساهم الإطار النظري في تحديد مقاربة متميزة يلتزم بها الباحث أثناء عملية التحليل وصياغة النتائج.

4 . أن يساعد الإطار النظري على ربط جهد الباحث بالجهود النظرية السابقة بحيث يصبح حلقة من سلسلة نظرية طويلة، ويحقق غرض التراكمية المعرفية.

5 . أن يساعد الإطار النظري على توليد التساؤلات البحثية، ويدفع الباحث نجو الابتكار النظري.

ويرى الباحثون أن العناية بالإطار النظري يحقق فوائد متعددة للبحث منها: توجيه الباحث في عمليات اختيار المعلومات والبيانات وتحليلها والمساهمة في تقديم وتصنيف وصياغة المفاهيم، وتحديد مفرادات اللغة العلمية المستخدمة، وتوثيق العلامة بين البحث العلمي والواقع، والوقوف على مدى الانتظام والتواتر في الحالات التي ندرسها، وإمكانية بناء نماذج أو أنماط نظرية وتعيين مواضع يمكن تقديم

مساهمات فيها وسد ثغرات قائمة. فالإطار النظري يشكل جزءا مهما من متن الرسالة، يحتاج من الباحث تنقيح وانتقاء المعلومات فيه، بشكل يخدم أهداف البحث التي حددها ابتداء.